حسن داوود

مدخل إلى النتاج الثقافي الانعزالي

حين يحاول منظروا الايديولوجية اللبنانية الخوض في اكثر التفاصيل دقة ، فانهم لا ينسون بأن السحر هو ما يعطي للبنان وحدته وتميزه · وهم يحاولون بكثير من السحرية ان يوحدوا بين القيم التي اضفوها على لبنان وبين التفاصيل التي تأخذ طابع التشريع للعلاقات الاجتماعية الراهنة بين اللبنانيين · هذه العلاقة الجوهرية بين تاريخ لبنان وحاضره ، بين قيم لبنان المطلقة وانسانه ، قد تمت صياغتها في نظرية واحدة ، استطاعت ان توحد بين الفروق الشاسعة التي تمتد من المطلق حتى علاقات الطوائف اللبنانية · وحين يحاول ميشال شيحا ويوسف السودا ان يشرعا للبنان الحاضر ، فانهما يأتيان اليه من الماضي ، من نظرية الماضي ، التي تم احكامها بشاعرية مطلقة · هذا الماضي خال من اي صراع مهما كان نوعه ، انه ، في العصر الفينيقي ، بلغ كماله وتحدد به · وان كان المنظران قد زرعا في ايديولوجيتيهما مجموعة من القيم الثابتة التي يتميز بها لبنان ، فان هذه القيم الثابتة انبثقت من ذاك العصر فحسب ، واكتسبت عندهما صفة سرمدية · من هذه القيم اتى المنظران الى علاقات الواقع والسياسة · اذ يستمر الماضي في كل الازمنة ، دون ملاحظة للخصوصية التي تميز كل عصر من العصور ، تبعا للصراعات الاجتماعية الداخلية ، وتبعا للعلاقات الخارجية التي تحيط بلبنان ·

هذا الشعر الذي يصبغ الماضي حين يرى منظروه اليه ، يتحول الى سحر حين يحاول الالمام بالحاضر والتشريع له ورسم سياسته · وقد يلاحظ من الكثير من الكتابات التي رأت الى الحاضر ، ان التفاصيل تغيب في حضورها او تحضر في غيابها · اذ الفقراء والاغنياء والعلاقة بالاستعمار والطوائف الشتى ، لا ينظر اليها من خلال الثقل الحاضر الذي تنوجد فيه ، بل من خلال نزوع طبيعي يميل به اللبناني الى التسوية وتقديس التجربة الفريدة · ليس للتفاصيل فاعلية في النظرية التي صيغت ، انها منتفاة ومحتواة في التصور الكبير الذي يعطي للبنان فرادته وقيمه الثابتة · وحين تتأزم العلاقات السياسية وتشذ عن الصيرورة التاريخية للانسان اللبناني ، عند ذاك لا يشكل هذا الشواذ امتحانا للنظرية ـ التاريخ او تحديا لها ، بل ينتج هذا الشواذ عن تأثير من العناصر الخارجية التي تحاول دائما ان تنال من لبنان ·